نبدو كجوليات. فكل شاب عربي يسقط شهيداً على ساحة الانتفاضة يزيد العبء على اسرائيل، ويتحوّل الى وقود في نار حرب التحرير الفلسطينية» (شيفح فايتس، دافار، ٢٥/١/١٩٨٩). وهذا هو العبء الذي يتصدى له رابين الآن؛ فامّا ان يقبل بوجود دولة فلسطينية او يواصل قمع الشعب الفلسطيني. فوزير الدفاع هو صاحب نظرية «الفصل» بدل نظرية «الاحتكاك» التي ورّطت اسرائيل في حرب لبنان العام ١٩٨٢. والسؤال، لماذا لا يطبّق نظرية «الفصل» على الحدود الشرقية كما طبّقها على الحدود الشمالية، حيث تظهر نظرية «الاحتكاك» فشلاً ذريعاً. «فقوة الجندي في الجيش الاسرائيلي مشلولة؛ ولا تستطيع الدبابات المتطوّرة، ولا الطائرات الحديثة، التغلّب على أبسط الأسلحة، المقلاع + أطفال أقوى من الجنود، والحجر يهزم الرشاش. وتجني سياسة ' الاحتكاك ' ثمارها مرة أخرى. والاستنتاج البسيط الذي يترتب على ذلك هو، مرة أخرى، استخدام منطق رابين، الذي نادى به العام ١٩٨٤ وخلق منطقة فاصلة مناسبة بيننا وبين هؤلاء الذين لا يريدون احتلالنا، لأن الفصل يشكّل أمناً والاحتكاك يعتبر فشلاً» (ابراهام بورغ، هآرتس، ٢٧/١/١٩٨٩).

الى هذا، فان الانتفاضة دفعت الاسرائيليين الى التفكير في ايجاد صيغ عملية للتسوية مع الفلسطينيين. «فقد أثبت سكان المناطق [المحتلة]، بشجاعتهم وصلابتهم، على مدى أربعة عشر شهراً، ما لم تثبته منظمات [الفدائيين] خلال عشرين عاماً من حرب اللاخيار ضد اسرائيل... فمن الواجب على اسرائيل ان تنظر الى الواقع الذي نشأ منذ أواخر العام ١٩٨٧، والى نفسها... وكذلك الى العالم المحيط بها، والذي يتعاظم ضغطه من اجل تسوية النزاع» (أ. شفايتسر، هآرتس، ٢٠/١/١٩٨٩).

وحقيقة أخرى بات يدركها معظم الاسرائيليين، هي انه على الرغم من الاعداد الكبيرة من الشهداء والجرحى والمعتقلين، فان الشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة يتمسّك بـ م.ت.ف. ممثلاً شرعياً وحيداً له. وهو يعمل حثيثاً على بناء سلطته المستقلة، شيئاً فشيئاً، في موازاة سلطة الاحتلال. «ويخطىء كل هؤلاء، في طاقم الحكومة، الذين يعتقدون بأن في الامكان التمييز بين المنتفضين في [الاراضي المحتلة] وبين القيادات في الخارج. فالسكان المحليون يقبلون بارادتهم وصاية ' م.ت.ف. تونس '. وقد حوّلوا، بشكل مفاجىء، قيادة م.ت.ف. وأظهروها محركاً للانتفاضة، شأنها في ذلك شأن الاعتراف العملي بـ م.ت.ف. ممثلاً للفلسطينيين، سكان المناطق [المحتلة]» (فولص، هآرتس، ١٠/٢/١٩٨٩).

ويبدو لكل مراقب، ان السلطة الاسرائيلية في الضفة والقطاع ليست أحادية الجانب. فالى جانبها تتبلور سلطة فلسطينية على أمل ان يتم «طرد الجيش الاسرائيلي. وهي مؤهلة لوضع السكان [الفلسطينيين] في سياق سياسي»، ويوجد، من الناحية العملية، نوعان من السلطات في المناطق المحتلة؛ فاذا كانت السلطة الاسرائيلية تستطيع تفريق التظاهرات، وملاحقة راشقي الحجارة، وغلق البيوت وفرض العقوبات، الّا انها «شبه سلطة من الناحية السياسية. وفي المقابل، فان السلطة [الفلسطينية] غير الرسمية هي السلطة الحقيقية...

«ونظراً الى ذلك، لا معنى لأن يعود رئيس الحكومة ووزير الدفاع ووزير المالية الى اطلاق التصريحات بأنهم لن يتحادثوا مع م.ت.ف. وان استمرار تجاهل [المنظمة] ممكن، لكن بثمن استمرار الانتفاضة وزيادة القمع وتشويه سمعة اسرائيل لدى الرأي العام العالمي. لكننا لن نصل الى الحل السياسي بفضل هذا التجاهل. وان محاولة الالتفاف حول ' م.ت.ف. تونس ' مصيرها الفشل.

«والسؤال هو، اذاً، كم من الوقت تستطيع اسرائيل الاستمرار بدفع الثمن الآخذ بالازدياد، داخلياً وخارجياً. وقد يصبح غير محتمل غداً، وبعد غد. ان حكومة واعية لا تنتظر حتى ذلك الوقت، حين تصبح ' أزلية اسرائيل ' كذبة أخرى» (المصدر نفسه).

محمد عبد الرحمن